

سلسلة مقالات الانبا ساويرس
البطريرك الأنطاكي

٢

شفاء الأعرج

مليكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

شفاء الأعرج

المقوق محفوظة

المقال رقم ٧٤ مترجم عن الفرنسية عن الكتاب السادس عشر من مجموعة :
Patrologia Orientales R. Graffin - F. Nau
Les Homélie Cathédrales de Sévère d' Antioche
Homélie LXXIV
publiée par N. A. Kugener & Edg. Triffaux

من أفضل ما قيل في معجزة شفاء الأعرج ذلك المقال النفيس الذي ألقاه القديس أنبا ساويرس الأنطاكي - في القرن السادس - على جماعة المؤمنين في يوم الجمعة من الأسبوع الذي يلي عيد العنصرة ، وهو يتضمن شرح ما ورد في سفر أعمال الرسل ص ١ : ١٦ حيث ذكر : وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة ، وكان رجل أعرج من بطن أمه يحمل ، كانوا يضعونه كل يوم عند باب الهيكل الذي يقال له الجليل ليأخذ صدقة من الذين يدخلون الهيكل ، فهذا لما رأى بطرس ويوحنا من معين أن يدخل الهيكل سأل ليأخذ صدقة ، فتفرس فيه بطرس مع يوحنا وقال أنظر إلينا ، فلا حظهما منتظراً أن يأخذ منهما شيئاً ، فقال بطرس ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فأياه أعطيك . باسم يسوع المسيح التناحرى قم وأمش ، وأمسك بيده اليمنى وأقامه في الحال فتمددت رجلاه وكعباه ، فوثب ووقف وصار يمشى ودخل معهما إلى الهيكل وهو يمشى ويطفر ويسبح الله

وقد بدأنا السلسلة بمقال للقديس عن ظهور السيد المسيح للبريمات ، وسنوالى بها نشر مقالات هذا الأب القيمة وإلهانا المجد دائماً أبدياً آمين ؟

المقال الرابع والسبعون

هذا المقال عن معجزة شفاء الأعرج من بطن أمه على يد الرسولين بطرس ويوحنا ، على يوم الجمعة من الأسبوع الذي يلي عيد العنصرة ، حيث كان صوم كالمعتاد ، وهو قراءة من أعمال الرسل ص ١ : ١٦ .

يقول القديس ساويرس

بعد أن نصعد إلى الهيكل مع بطرس ويوحنا وقت صلاة الساعة التاسعة أفنسكت ؟ وهلا يبكتنا ذلك الرجل الأعرج على صمتنا إذا لم نحدث ؟ . إنه يقفز ناطقاً بمجد الله بعد أن كان لا يستطيع إلى حين أن يمشى برجليه ، إذ كان آخرون يحملونه !! وضعوه عند باب الجليل ، وكان جيلاً حقاً حينما كان بصرخ قائلاً : إن الصلاة المقترنة بالصدقة ودخول الهيكل جميلة وغالية في عينى الله وتظهر جلياً ، وهى طريق الداخلين عند الرب . كما أن الصلاة التى تنقصها المحبة ، وكأنما الظلام يسترها تجعل حركة الأقدام بلا فائدة . فتجعلها تخطو خطوات غير ثابتة ومترددة ، حتى ولو كان السارى منيناً بكل الفضائل الأخرى أو بحملاً بالبتولية .

هذا ما يرمز إليه مثل الخس عذارى الجاهلات ، اللاتي كن
مستخيرات بالجمال المتألق الذي للطهارة ، ولكنهن من ناحية نقص
المحبة فكانهن منطقتات ومظلمات ولم يدخلن مع العريس ، بل
كان باب الغرفة الروحانية مغلقاً أمامهن .

لذلك كان ذلك الرجل الاعرج يطلب أيضاً من الرسولين
بطرس وبرحنا أن يقدموا له معونة من هذا النوع ، وفي ذلك
إشارة إلى أن الشفقة والمحبة نحو المحتاجين ضروريان حتى
يعمل وفق ذلك المصلون بالحق إذا ما بدأوا الصلاة . فإذا كنتم
قد حضرتم إلى هنا باستعداد بمائل أو كنتم مددتم يد المساعدة
والمحبة للفقراء فقد صدقتم بالحقيقة إلى الباب الجميل ولم تكذبوا
بهذا الصعود . لأنه حتى الرسول بطرس لم يكن ليقول : « ليس
لي فضة ولا ذهب » ، أع ٣ : ٦ ، وهو يرفض طلب الاعرج
دون أن يكون قد تجرد أولاً . وما عنده كان ينحصر في بعض
الخبثات ومركب صغير وبعض عصي الصيد . كان يقول للرب
يسوع : « ما نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك » ، مت ١٩ : ٢٧ .
لأن من لا يملك سوى النزر اليسير مطالب أيضاً أن يمد يده إلى
الفقير قدر استطاعته .

فلا يقول أحد : « إنى لا أستطيع أن أعان الحاجة والحرمان
وأحمد إلى القسدد » .

حتى في الشدة والعنق بسبب حاجتك فأنت لم تشتط عن
الصواب فإن ملكوت السموات بغصب والفاصبون يخطفونه ،
مت ١١ : ١٢ .

أنك لاكثر فهماً إذا اشتريت بقليل من المماناة أملاكاً من
هذا القبيل ، ومن ينله شيء من هذا فليأخذ في الاعتبار أنه
سوف يمنح العزاء بدلًا منه ، وسوف يعرض بفرص غنية للحياة
الحسنة . لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي
أظهرتموها نحو إسمه . عب ٦ : ١٠ .

هذا ما ينادى به بولس الرسول في بعض رسائله ، وأنت
ذاتك حينما ترى خادمك يسذل بجهوداً يفوق قوته لكي ينفذ
بالتمام أوامرك ، أفلا تبحث عن وسيلة تمكفل له راحته كشخص
متعب ؟ فإذا كان الأمر متعلقاً بآله ، أنتظن أنه يهمل خليفته
التي خلقها عند المخرج .

وتبعاً للقانون الذي وضعه على الناس أن يشركوا المحتاج
فيما يملكون يقول : « أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه
كلها تزداد لكم » ، مت ٦ : ٣٣ ، وأيضاً : « لأن أبائكم يعلم
ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه » ، مت ٦ : ٨ .

في الواقع إن كان أحد ينسى هذه الكلمات ولا يقتنع بقول

الكتاب ، التي على الرب همك وهو يعولك ، فيقدر إحتياجاته
كما يشاء ، ويبتغ بكثرة أبواب الصرف ، ويحسب أن ما يملكه
قليل ، ويشتهي امتلاك ما ليس له ويهمل الفقير ، فيجب أن
يعرف جيداً أن واجبنا الأول أن نقدر حاجة الفقير قبل
إحتياجاتنا . بذلك نكون غير غاشين بخادعين في وصية الله .
لهذا السبب اعتبر السيد فلسي الأرملة تقدمه عظيمة ، لأنها
مستت حاجة تلك التي أعطتها ، فقد أعطت فعلا كل معيشتها
التي كانت عبارة عن هذين الفلسين .

ومع ذلك لم يكتف الرسول بالقول ، ليس لي ذهب أو
فضة ، لكنه أضاف ، ولكن الذي لي فإياه أعطيك ، أع ٣ : ٦ ،
معلماً بذلك أنه يلزم أن نعطي للحتاجين بما لنا ، سواء أكان
شيئاً مادياً أو غير مادي وأنه يلزم أن ننظر إلى ما نملكه أنه
ليس ملكية شخصية ، بل كأنه ملكية مشتركة . وإنه يلزم لمن
يعطي أن يفكر ثم يتدبر قائلاً : « وأى شيء لك لم تأخذه »
١ كو ٤ : ٧ .

بهذا الفكر أيضاً كان بطرس الرسول نفسه يحذر البعض
حينما كتب : « ليسكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يتخدم بها
بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتوفرة . إن كان

يتكلم أحد فكأقوال الله . وإن كان يتخدم أحد فكأنه من قوة
يمنحها الله ، (١ بط ٤ : ١٠ - ١١) .

إن دروساً كثيرة يعطينا إياها ذلك الرجل الأهرج .
الآي يجب أن تتعمق في الدراسة أكثر ؟

إن الرجل الأهرج لا يدعى أصمت . . . حينما دخل إلى
المهيكل وهو يجرى ويقفر ، يجذب فكري إلى التأمل الروحاني
العميق لأن الأحداث التي وقعت تحتوى في ذاتها على غنى الحكمة
المستتر الذي يفوق كل فهم . ومن يفحصها - ما أستطاع إلى
ذلك سيلاً - تصبح أفكاره كلها أسيرة لطاعة المسيح كما يقول
بولس الرسول : « ومستأمرين كل فكر إلى طاعة المسيح »
٢ كو ١٠ : ٥ .

ويعتبر ذلك الرجل الأهرج ، في الواقع ، صورة لكل
البشرية ، للكنيسة التي اجتمعت وانفصلت من بين الأمم الذين
لا يعرفون الله ، أولئك الذين لا رجاء لهم (١ تس ٤ : ١٣) ،
كما هو مكتوب . فبينما كانت ميتة أحياءها المسيح الذي بموته كسر
ذاك الذي كان له سلطان الموت . فبينما كانت مشلولة من ناحية
أعمال البر وطاجزة تماماً عن المشي كأنها مسمرة وموثقة
بالسلاسل ، بعبادة الأوثان وعادات القدماء ، وكانت كإمراة

نحسة تنف خارج الهيكل أقامها الرسل القديسون إذ مدوا إليها
يد التعليم . لم يعطوها ذهباً أو فضة ، وكان فيها مقترحاتاً فامتلات
بجهاً . . .

ان الرسل فتحو لها باب الجليل على آخره ، الذي هو يسوع .
مزين « وأبرج جمالا من بني البشر » ، كما يقول النبي عنه ، يجعل
المؤمنون يدخلون ، ودخولهم كما من باب ، حتى إلى معرفة ذاته
ومعرفة أبيه ، صارخاً أيضاً في الاناجيل « أنا هو الباب . إن
دخل في أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى » . يو ١٠ : ٩ .
ولننظر كيف أن بطرس ويوحنا والرسل الآخرين أقاموا
الكنيسة على مثال هذا الأهرج : كانت الكنيسة قديماً تخرج
بنفس الطريقة فيما يختص بمعرفة الله ، ومن بطن أمها كانت
مشلولة بالخطية بسبب تمسك آدم وحواء ، وكانت تقول :
« هانذا بالإنم صورت وبالخطية جبلت بي أمي » . مز ٥١ : ٥ .

ماذا قال لهما إذن بطرس ويوحنا حينما كانت تخرج ومع
ذلك كانت تطلب أن تأخذ صدقة ؟ قالوا : « أنظر إلينا ،
أع ٣ : ٤ . فيما يختص بالتعليم والصحة التي تتدفق منها ،
والاستقامة الجديدة ، يقول الرسل القديسون ، يكفيك فقط
أن تنظري إلينا ، نحن بالحقيقة الذين بعد أن تركنا كل شيء وبعد

أن حملنا الصليب قد تبعنا المشرع ، المسيح ، الذي كان يقول لنا
بطريقة سامية جداً تليق بالله : « قوموا تطلق من ههنا ،
يو ١٤ : ٣١ ، في الوقت الذي كنا فيه مثقلين بالناس وأغرقتنا في
نوم عميق ، وكنا هكذا منحنيين إلى الأرض ، كان السيد له المجد
يستعد الألام الخلاصية .

كان الرب يسوع المسيح يعرف أن له إصعاد كل الناس إلى
السماء معه . لذلك كان يقول أيضاً : « وأنا إن ارتفعت عن
الأرض أجذب إلى الجميع » . يو ١٢ : ٣٢ .

أيتها العرجاء : أتركي إذن ، أمام التقوى ، الفضة والذهب :
الاصنام وعبادات الامم ، لأن اصنام الامم هي من الفضة
والذهب وهي أعمال أيدي البشر . إن لك رجلين ولا تستطيعين
المشي ، وفي الحال سوف تتخلصين من الشلل والجود . تتخلصين
عن تلك الاصنام الجامدة المشلولة .

أتركي حبة المال التي هي بالحقيقة أصل لكل الشرور ، تي
١٠ : ٦ . وهكذا باسم يسوع الناصري قومي . « باسم يسوع
للمسيح الناصري قم وامشي » . أع ٣ : ٦ .

يقول الكتاب : « ثم بعد هذه الكلمات أمسك بيده اليمنى
وأقامه ، أع ٣ : ٧ .

ما كانت الكنيسة لتستطيع ان تعمل عملاً مستقيماً يؤدي
إلى الفضيلة إن لم يكن الرسل القديسون بتعاليمهم قد شددوا قوتها
التيينية الطبيعية وأصلحوها بما جبرها من الأيدي . يقول :
« وفي الحال تشددت رجلاه وكمباه ، أع ٣ : ٧ .

قامت أقدامها على صخرة الإيمان فثبتت خطواتها كما يقول
داود النبي ، وأصعدني من جب الهلاك من طين الحاة وأقام على
صخرة رجلى . ثبت خطواتي ، مز ٤٠ : ٢ .

لم تثبت خطواتها لحسب بل كانت أيضاً تقفز متهلة بالأفكار
الإلهية ودخلت مع الرسل إلى الهيكل عاكفة على التأملات
العبيقة المقدسة التي لا يعرفها الكثيرون . منذ ذلك الحين
والأسر بالعكس فالكنيسة هي التي تثبت بالرسول إذ يصعب
عليها أن تثبت أو تفصل عنهم ، بدلا من أن يكون الرسل هم
الذين يمسكون بها . . .

يقول الكتاب المقدس عن الرجل الأعرج الذي كان يرمز
إلى الكنيسة التي انفصلت عن الأمم : « وبينما كان الرجل
الأعرج الذي شفى متمسكا ببطرس ويوحنا تراكنس إليهم جميع
الشعب إلى الرواق الذي يقال له رواق سليمان وهم مندحسون .

أع ٣ : ١١ .

كيف لا تعجب من المعجزة ١٢

كيف تسير مع الرسل تلك التي كانت فيما مضى ملقاة محتاجة
إلى من يقيمها ١٢

وذلك انها امتلأت من غنى الحكمة والتأمل لان هذه هي
الفكرة المقصودة بباب سليمان الذي كتب عنه :

« وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً ورحمة قلب
كالرمل الذي على شاطئ البحر . وطاقات حكمة سليمان حكمة
جميع بني الشرق وكل حكمة مصر . وكان أحكم من جميع الناس ،
١ مل ٤ : ٢٩ - ٣١ .

فضلا عن ذلك فإن سليمان هذا كان يرمز مقدماً الى المسيح ،
سليمان الحقيقي ، لان كلمة سليمان معناها رجل السلام ، والمسيح
هو سلامنا (أف ٢ : ١٤) ، كما يقول بولس الرسول :
« وأما للدعويين يهودا ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله ،
١ كو ١ : ٢٤ .

« المدخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم ، كو ٢ : ٣ .
فبعد أن كانت الكنيسة فيما مضى عاجزة عن السيد أترف
وابتهجت بهذه الخيرات ، يسيرها مع الرسل . هذا ما نستطيع
أن نراه في بابنا (١) .

(١) باب الجليل .

أكان مستطاعاً للوثنيين أن يصنعوا بفسفتهم شيئاً عظيماً
كهذا في بوابتهم الموقرة في أمينا ١٤ .

هل أقاموا مثل هذا الرجل الأعرج ، أمام بصر وسمع الناس ؟
أبداً ، لأنه لم يكن بينهم الإله الواحد الوحيد الحقيقي ،
وأيضاً لم يكن لديهم الاستعداد والقوة ليقولوا كلمة مثل هذه :
« باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش » ١٤ : ٣ : ٦ .
بعد أن سمعنا هذا التعليم ، يقول القديس ساويرس :

يدور لي انكم لا تتلون أبداً ، ومع ذلك فقد يحزن البعض
إني بكلماتي أطلت فترة الصوم ^(١) . أما أنا فأقول مثل بولس
الرسول : « لأنه أن كنت احزنكم أنا . فمن هو الذي يفرحني
إلا الذي أحزنته » ٢ كو ٢ : ٢ .

هذا ما قصدت إليه بالضبط إذ أطلت المقال ، حتى ينتهي
الجزء الأكبر من النهار ولا أكذب الكتاب المقدس الذي
يقول :

« وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة
التاسعة » أع ٣ : ١ .

(١) المقصود بالصوم هنا هو الصوم ذلك اليوم الذي أتى فيه هذا
المقال . ويبدو أن هذا المقال لم يثر عليه إلا مختصراً .

الواقع أنهم كانوا يصعدون . أكانوا ينزلون ١٤

يقول الآب القديس

أما أنت فتطلب منا أن نعظ بعكس ما نفعل وأن نقرر
ونبين ما هو ضد الواقع .

ألا تعرف أن اليوم الحاضر يجعلنا نعد بأن نصوم ونصل
ونطعم المسيح الجامع الذي يقف باستمرار بالقرب من الأبواب
المقدسة ؟

لماذا إذاً تترك جانباً ما يلهنا به هذا اليوم ونهتم بما هو
غريب عن ؟ بالمأسكولات والمساعدة المليئة بالدم ، ما لا يليق
بالصوم .

متى تكون سامعاً هادئاً ومحياً لكلماتي ؟ لأنه إذا كنت
في أيام الأعياد تنتبه إلى الاطمعة وشراهة البطن ، وفي نفس
الوقت الذي فيه تأتي إلى الكنيسة تتمتع بالعودة حالاً إلى بيتك ،
بينما تنظر إلى هذا اليوم كأنه سنة ، فتأكلك ، قل لي ، أو متى
تطعم روحك الجماعة ، طالما تنذر دائماً وتلتقي باللائمة
في كل شيء .

إني لأعرف أن لكل عمل وقتاً مناسباً ويلزمي ضرورة أن

أقول لمن في العيد كيف يليق به أن يميتد ، حتى يكون موضوع
العيد موضوع تأمل بالنسبة له وحتى يتحدث بالاقوال المتعلقة
بالعيد على المائدة .

لا ينبغي إذ يتلذذ بالأطعمة أن يسلم نفسه للأغاني والسكر
والضحك الغاش فقد أمرنا الله فعلا أن نتهلل برعدة : وعبدوا
الرب بخوف واهتفوا برعدة ، مز ٢ : ١١ .

كما أمرنا ألا نكون روحنا أبداً خالية من خوفه تعالى
ومن ذكره ، بل تمسك بهذه المشاعر ونضبط ذلك الاندفاع
الذي يقود إلى الخطية .

أين رأيت قائداً في المعركة يكتفي بالحديث أمام جنوده
حول نظريات الاستعداد الحربي في الوقت الذي يجب عليه فيه
أن يحث الجنود على القتال ويخوض المعركة معهم قبل أن تحيق
بهم الهزيمة ؟

أو أين رأيت مرشداً يعطى تدريبات رياضية بعد أن يكون
البطل قد خسر إكليله ؟

أو أين رأيت من يلقى خطبة عن العيد بعد العيد ؟
إن الذي أخذ على عاتقه أن يزيل الخطر الذي يتأتى من

الانفاس في اللذات فقبل أن يحين العيد ، عليه أن يجهد نفسه
بخصوص الكلمات والأفكار الإلهية لكي تطهرها مقدماً .

ثم يقول القديس ساويرس

هندي عمل كثير ، أفضى الليالي دون أن أنسى ، وروحي
تذوب في نفس الوقت مع جسدي ، أما أنت فربما تظن إنني
أحاول إطرارك ، أو إنني مدين لك بالشكر لأنك تظهر صبراً
إذ تظل ساعة تستمع إلى إني لا أعير مثل هذا الإطرار
إلتفاتاً ، إن كانت كلماتي لا تمود تؤدي إلى منفعة الروح فيشعر
السامع أنه أخذ منها العون . لذلك أقوم بواجبي حتى ولو لم يكن
هناك من يسمعي . كما يقول بولس الرسول : فإنه إن كنت أفضل
هذا طوعاً على أجر . ولكن إن كان كرهاً فقد استؤمنت على
وكالة . فما هو أجرى إذاً وأنا أبشر أجعل لإنجيل المسيح بلا
نفقة حتى لم استعمل سلطاناً في الإنجيل ، ١ كو ٩ : ١٧ - ١٨ .

إن جزائي ألا يوزنني ضميري في هذا الأمر ، وإنني لفاضل
ما أمرت به : وأنا عبد بطسال ، وما كنت أستطيع أن أفعله
بحسب ضعفي فقد عملته . وأنه يليق بالرجال الذين هم من قامه
الرسول أن يقولوا : « عملنا ما كان يجب علينا » لو ١٧ : ١٠ ،

لكنى موثني إنى أنا نفسى لم أرفض جزءاً يسيراً من التزاماتى
العديدة .

ولا أقول ذلك لكى أنهمكم بالإهمال ، حاشا ! إنكم قد
تنتقدوننى أيضاً بأنى لا أتكلم بترتيب وأتم متفقون لتؤكدوا
أن صوتى ليس كافياً بالنسبة لعدد السامعين الكبير ، وفى ذلك
أردف القديس قائلاً : إنما أوردت ذلك بسبب ثلاثة أو أربعة
أفراد دأبهم أن يلوموا فى كل شىء . وهم يتفجرون حسداً .

ونقرأ فى الكتاب المقدس : « أن الكنيسة تبني وتسير فى
خوف الرب وبتمزية الروح القدس كانت تتكاثرت » أع ١٩ : ٣١ ،
فما قلناه كافٍ لخذلانهم . ومع ذلك نعتبر نحن أنفسنا شعورنا
نحوم ونرجو أن يؤدى ذلك إلى منفعتهم ، بالنعمة وحبية البشر
الذى ليسوع المسيح الإله العظيم مخلصنا الذى يليق به المجد مع
الأب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين ؟

† † †